هدية الإخوان

بشرح

عقيدة الإيمان

تأليف

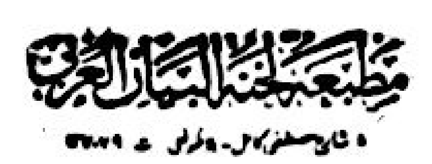
العلامة السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر

ابن عبد الله بن سميط العلوي

الحضرمي

م





ترجمة المؤلف

بقلم

العلاّمة الشيخ فضل بن محمد بافضل التريمي الحضرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمداً يليقُ بكماله وعلوّ جلاله ، وصلّى اللهُ وسلم على سيدنا محمد وصحبه وآلِه ، وعلى حُماة الدِّين ورجاله .

أما بعد : فإنّ من نِعم الله الكبرى على أهل هذا الزمان تيسيرَ طبع الكُتُب النّافعة ونشرِها في الآفاق ؛ ليستصبح بها المسترشدون ، ويهتدى بها الحائرون .

وأمامنا أيها القرّاء الكرام كتاب « هدية الإخوان بشرح عقيدة الإيمان » كتابٌ لطيف الحجم مختصر اللّفظ ، لكنه مفتاح نور وهداية . لمن سبقت له من الله عناية . جمع فيه مؤلّفه من قواعد عقائد التّوحيد والإيمان ما لم يجمعه مؤلف فى حجمه ، مرصّع بالأدلة والبراهين ، المقوّية لليقين ، موضح لمشكلات يستشكلها الطلّاب من أولى الألباب ، بعبارة سهلة سلسة ميسرة الفهم لكل مطالع .

ومؤلف هذه الهدية ومهديها شيخنا الإمام العلاّمة العارف ، كنز

المعارف، ومجمع اللطائف، الحبيب الحسيب النسيب السيد عمر بن أحمد ابن سميط، متّع اللهُ المسلمين بوجوده ونفعنا بعلومه وبركاته آمين .

وُلد ببلاد أنجزيجه من بلدان جزائر القمر سنة ١٣٠٣ هجرية، ونشأ بها وبزنجبار نشأة مباركة، وتربّى بأبيه الإمام العلاّمة الكبير أحمد بن أبى بكر ابن سميط تربية صالحة فى أحضان الشرف والعلم، ورحل به إلى حضرموت فى حال صِبَاه ليأخذ حظّه من تربيتها الهادئة المطمئنة بين آبائه وبين عمومته، وأخذ هناك عن كثير من أفاضل علمائها، ثم عاد إلى زنجبار وأخذ شتَّى العلوم والمعارف عن أبيه ومشايخ آخرين، وتولَّى منصب الإفتاء والتّدريس، وكان ديدنه إفادة الطالبين وهداية الحائرين، صارفاً فى ذلك جلّ أوقاته مع أخلاقٍ عالية وهمة سامية وعبادة وطهارة .

ورحل إلى حضرموت والحرمين الشريفين مرات حيث أخذ عن كبار علمائها ومشاهيرهم، وله تآليف مفيدة عدا هذا الكتاب منها تأليفه فى رحلتين له إلى حضرموت تسمى إحداهما النفحـــة الشذية يجد فيهما المطالع أمارات عظمته وسموّ فكره وغزارة معارفه وكرم شمائله . فهو عمدة المحققين وبركة المسلمين، ومزاياه ومآثره كثيرة مدّ الله فى حياته ونفع به والله ولىُّ التوفيق .

وحرر بمكة المكرمة فى ٧ من ذى الحجة الحرام سنة ١٣٧٩ هـ

الفقير إلى الله — فضل بن محمد بن عوض بافضل — تريم . حضرموت

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتصف فى ذاته وصفاته بكل كمال : الأوّل بلا بداية والآخر بلا نهاية ولا زوال ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم المرسلين ، الذى اتضحت بنور هديه معالم الدين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فلما قدّر الله لى العودة إلى جزيرة أنجزيجة فى حدود سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف ، رأيت أكثر ما يفتتح طلاب العلم مقروءاتهم على الأشياخ فى الكتابين الموسومين : بـ « إرشاد المسلمين ، وعقيدة الإيمان »[1].

وقد شرح الأول جدّى بشرح وجيز ، سماه : « الترياق النافع من العمى » فعمّ نفعه وانتشر فى أكثر بلدان السواحل ، ولذلك عنّ لى أن أشرح الثانى خدمة للعلم الشريف ، ورجاء أن يكون ذخراً ، فقد جاء عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

والمأمول من فضل الله أن ينفع به مطالعه ، وأن يثيب عليه جامعه وسميته :

هدية الإخوان بشرح عقيدة الإيمان

وها أنا ذا أشرع فى المقصود ، بعون الملك المعبود قال المصنف :

---

(١) لم يبين مؤلفهما .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

(بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ المصنف بالبسملة ، ثم ثنى بالحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز فإنه ابتدىء بها فى الترتيب، وأما فى الإنزال فقد ابتدىء بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وعملا بخبر «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم» ، وفى رواية «بالحمد لله فهو أبتر» وفى رواية «فهو أجذم» ، وفى رواية «فهو أقطع». والمعنى على كل : أنه ناقص البركة. قوله : ذى بال ،يعنى ذى شأن ، والأمور ذات الشأن ،كلبس الثياب والاكل والشرب ، وأما سفاسف الأمور كالكنس وغيره من الأمور الخسيسة فلا تطلب البسملة عليها ، بل الأولى تركها تعظيما لاسمه تعالى . قوله: أبتر الخ ، أى كالأبتر حذف منه أداة التشبيه ، والكلام على البسملة شهير فلا حاجة إلى الإطالة به ، وإنما نذكر شيئا من ذلك على سبيل التبرك فنقول : الإسم مادل على المسمى ولفظ الجلالة علم على ذاته تعالى ، والرحمن والرحيم صفتان لله مأخوذتان من الرحمة ، وهى رقة فى القلب تقتضى التفضل والإحسان ، وهما فى حق الله بمعنى المحسن ، أو مريد الإحسان ، إذ لا يجوز إطلاق الرحمة على الله بمعناها الأصلى الذى هو رقة فى القلب (الحمد لله) الحمد لغة : الثناء باللسان على الجميل ، فقولهم باللسان مخرج لما كان بغير اللسان وهو الحمد الاصطلاحى كالقيام لمن أنعم عليك فإنه ثناء بغير اللسان ، وقولهم على الجميل ، مخرج للثناء لا على الجميل ، كمدائح الشعراء للفسقة على نحو شرب خمر أو قتل نفس ، لأنه ليس على الفعل الجميل منهم ، ثم إن هنا أبحاثا تتعلق بأل التى فى الحمد هل هى للاستغراق أو للجنس أو للعهد ، وتتعلق بأركان الحمد وتقسيمه إلى قديم وحادث ، تركت كل ذلك لعدم لياقته بالمقام فليطلب من المطولات . والمعنى : أن الحمد ثابت لله تعالى

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمتَّقِينَ ، والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

(رب العالمين) يطلق لفظ الرب على معان : منها السيد والمدبّر والمنعم ، والخالق ، والمصلح ، والمالك ، والأخير هو المراد هنا : أى مالك العالمين ، والعالَم هو ما سوى الله سبحانه وتعالى ، ويقال لكلّ صنف من صنوف الخلق عالم كعالم الملائكة ، وعالم الإنس ، وعالم الجن وجمع ذلك عالمون وعوالم (والعاقبة للمتقين) العاقبة هى آخر كلّ شيء ، والمراد بها هنا العاقبة الحسنة المحمودة التى هى دخول الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم ، والمتقين جمع متَّق ، وهو من امتثل أمر الله واجتنب نواهيه . قال الله تعالى (تلك الجنةُ التى نورثُ من عبادنا من كان تقيا) . (إن المتقين عند ربهم جناتِ النعيم) ، وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول أين المتقون ؟ فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم إلى منازلهم ، فيدخلون الجنة بغير حساب » جعلنى الله وإياك وأحبابنا منهم ، ورزقنا مرافقتهم آمين .
(والصلاة والسلام) أتى المصنف بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، لخبر « من صلى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » وقرنها بالسلام ؛ لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) والصلاة معناها لغة : الدعاء بخير ، وهى هنا طلب الرحمة المقرونة بالتعظيم من الله أى فيضانها على النبىّ صلى الله عليه وسلم . والسلام : الأمان والتحية والانعام (على سيدنا محمد النبىّ الأمىّ وعلى آله وصحبه أجمعين) قوله على سيدنا محمد الجارّ والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن الصلاة والسلام : أى كائنان على سيدنا محمد ، وسيد القوم : رئيسهم وأكرمهم . ومحمد : علم على نبينا ، وسمى به بإلهام من الله لجدّه بذلك ليطابق اسمه صفته . =

وبَعْدُ : فَيَجبُ علَى العَبْدِ

= واختار المصنف ذكر محمد دون سائر أسمائه صلى الله عليه وسلم لأنه أشهرها بين العالمين ، وألذّها سماعا عند جميع المسلمين ، ولوقوع تسميته به فى القرآن وتسميته بأحمد إنما وقعت فى الكتب السالفة . والنبىّ : إنسان أوحى إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه ، وإن أمر بتبليغه فهو نبىّ ورسول ، فكلّ رسول نبىّ ، وليس كلّ نبىّ رسولا . قوله الامىّ نسبة للأمّ لكونه لايقرأ الخطّ ولايكتب ، أو نسبة للأمة العربية ، لأنهم كانوا أميين ، وورد «بعثت إلى أمة أمية » . وقال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) الآية ، والمراد بكونه منهم أنه صلى الله عليه وسلم أمّىّ مثلهم . قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) ووصف الأمّية فى حقّ غيره وصف نقص ، أما فى حقه صلى الله عليه وسلم فوصف كمال ، لأنه أثبت لحجة نبوّته صلى الله عليه وسلم ، وأدلّ على صدق ماجاء به ، وأدحض لشبهة الذين قالوا — إنما يعلمه بشر — ومع ذلك أظهر علم الأوّلين والآخرين . وقصّ سيرهم وأخبارهم ، وإلى ذلك أشار الأبوصيرى رحمه الله بقوله .

كفاك بالعلم فى الأمّىّ معجزة　　　فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

قوله وآله ، هم أقاربه المؤمنون من بنى هاشم والمطلب ، وقديرادبهم فى مقام الصلاة كلّ مؤمن . قوله وصحبه . الصحب : اسم جمع لصاحب ، وهو كلّ مؤمن اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ، ومات على الإيمان . قوله أجمعين جمع أجمع ، وهو من ألفاظ التأكيد . تقول : جاء الناس أجمع ، ومررت بالقوم أجمعين (وبعد) كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر : أى من نوع إلى نوع آخر ، والنوع المنتقل منه ماجاء قبلها من البسملة والحمدلة ، والمنتقل إليه هو ما بعدها (فيجب على العبد) المراد به كل فرد من أفراد

أَنْ يَعْرِفَ الإِيمَانَ وَالإِسْلَامَ .

المكلفين ولو من الجنّ (أن يعرف الإيمان والاسلام) لأنه بدونهما لا تتحقق النجاة فى الدّار الآخرة . فالأوّل هو التصديق بجميع ما جاء به النبى ﷺ مما علم من الدّين بالضرورة . والعلم الضرورى هو الذى يشترك فى معرفته الخاص والعام ، مثل العلم بالسماء أنها فوقنا وبالأرض أنها تحتنا . والثانى هو اسم للتصديق الذى فى القلب وترجمة عنـــه بناء على ترادفهما ، والراجح أنهما متغايران ، فالإسلام : اسم للإنقياد الظاهر ، والإيمان اسم للإنقياد الباطن ، وسيأتى تفصيل كلّ منهما قوله أن يعرف . أى معرفة . فأن والفعل فى تأويل مصدر . وهو فاعل يجب ، والمعرفة والعلم مترادفان على معنى واحد ، وهو الجزم المطابق للواقع عن دليل ، خرج بالجزم الظنّ ، والوهم والشكّ وخرج بالمطابق للواقع غير المطابق ، كجزم النصارى بالتثليث ، وخرج بما بعده التقليد الذى هو اعتقــاد مضمون قول الغير وفعله وتقريره من غير معرفة دليــل ، فليس كلّ منها معرفة ولا علما

[تنبيه] لا خلاف بين أهل الإسلام فى وجوب معرفة الله سبحانه وتعالى ولا فى وجوب النظر لأجل حصـولها بقدر الطاقة البشرية ، ولـكن اختلفوا فى أول ما يجب على المـكلف ، فقال الأشعرى إمام أهل هذا الفنّ إنه المعرفة وقال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراينى إنه النظر الموصل للمعرفة ، ويعزى إلى الأشعرى أيضاً . وقال إمام الحرمين إنه القصد إلى النظر . أى تفريغ القلب عن الشواغل . وحاصل الأقوال التى اختلف العلماء فيها اثنا عشر قولا ، والأصحّ أن أوّل الواجبات مقصداً المعرفة ، وأوّل واجب وسيلةً قريبةً النظر ، ووسيلةً بعيدة القصد إلى النظر ، وبهذا يجمع بين الأقوال ، فإذا أردت معرفة الله تعالى ، وهى لا تـكون إلا بمعرفة صفاته ، لأنه سبحانه حجب الخلق عن إدراك كنه ذاته . وفى الحديث « إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار »

فَإِنْ قِيلَ لَكَ : مَا أَوَّلُ شَيْءٍ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ ؟ فَقُلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعرِفَ أَوَّلاً أَنَّهُ مَخلُوقٌ ،

فطريق معرفته أن تنظر إلى نفسك لأنها أقرب الأشياء إليك ، ثم إلى العالم السفلى ، ثم إلى العلوى ، أو تنظر إلى العالم العلوى ، ثم إلى العالم السفلى ، ثم إلى نفسك فانك تصل بذلك إلى معرفته سبحانه وتعالى .

واعلم أن النظر مشترك بين الإبصار والفكر ، والمراد هنا الثانى ، والمراد من النظر إلى النفس وإلى العالم هو النظر فى أحوالهما ، فإنك إذا نظرت فى أحوال النفس وما اشتملت عليه من سمع ،وبصر ،وكلام،وطول،وعرض ورضى،وغضب وعلم وجهل ، ولذة وألم ،وغيرذلك . ونظرت إلى أحوال العوالم وما فيها ، كالمعادن والنبات ، وفى تغيير الليل والنهار وغير ذلك تجد فى جميع ذلك دليلا على حدوثها، والحدوث دليل على الافتقار إلى صانع حكيم . قال تعالى — (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) — . وقد أرشدك المصنف رحمه الله إلى تفصيل ما أجملناه بقوله . (فإن قيل لك ما) هو (أول شيء يجب) ويتعين (على الإنسان) هو اسم جنس يقع على الذكر والانثى (فقل . يجب على كل مكلف) هو البالغ العاقل (أن يعرف أولا أنه مخلوق) يعنى يجب على الإنسان قبل كل واجب عليه معرفة كونه مخلوقا لتحصل له معرفة الله من طريق النظر والاستدلال بالمصنوع على الصانع ، والأثر على المؤثر ، وبالمصور على المصور ، لان من عرف نفسه عرف ربه ، وهكذا جاء الحديث.

وَأَنَّ لَهُ خَالِقًا رَازِقًا ، وَهُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ ، لِأَنَّ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِهِمَا ، وَلَا وُصُولَ إِلَى لِقَاءِ اللهِ إِلَّا بِتَعَلُّمِهِمَا ، فَمَنْ

أى من عرف نفسه بالحدوث والفقر والعجز، عرف ربه بالقدم والغنى والقدرة، ولهذا الحديث[1] معان أظهرها هذا (و) يجب عليه أن يعرف (أن له خالقا رازقا) قادرا لا يعتريه قصور ولا عجز (وهو الله) الواحد الأحد الفرد الصمد (الذى) لاشريك له ولا مثل له (لا إله) معبود بحق فى الوجود (إلا هو) سبحانه وتعالى (ثم يجب عليه) أى الإنسان المكلف (معرفة) حقيقة (الإيمان والإسلام) اللذين سبق معناهما، وإنما وجب على المكلف معرفتهما (لأن سعادة الدارين) الدنيا والآخرة (لا تكون إلا بهما) والسعادة ضربان دنيوية، وهى معونة الله للعبد ومساعدته له على فعل الخير والصلاح وأخروية وهى: الموت على الإسلام، ودخول الجنة قال تعالى (وأما الذين سعدوا ففى الجنه خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) والشقاوة كذلك ضربان وهى لمن قال الله فيهم (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض)، والأعمال إنما هى دالة على السعادة أو الشقاوة. قال ﷺ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، أما من كان من أهل السعادة فسيصير إلى أعمال أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، والعياذ بالله (ولا وصول) أى للمكلف إلى نجاته فى الدار الآخرة ولا سبيل له (إلى لقاء الله) والنظر إلى وجهه الكريم فى دار كرامته ورضوانه (إلا بتعلمهما) أى الإيمان والإسلام ومعرفة أحكامهما (فمن) بلغ وهو عاقل سليم السمع والبصر وبلغته الدعوة

---

(١) قال النووى ليس بثابت وقال ابن تيمية موضوع (راجع كشف الخفا)

لَمْ يَعْرِفِ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ مُؤْمِنٌ . قَالَ فِى الْأَنْوَارِ : لَوْ قِيلَ لِرَجُلٍ مَا الْإِيمَانُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِى كَانَ كَافِراً ، فَإِنْ قِيلَ لَكَ : مَا الْإِيمَانُ ؟ فَقُلْ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ،

وهـــو [لم يعرف الإيمان والاسلام لا يقال له إنه مؤمن] أى ولا مسلم [قال] الفقيه الشافعى الإمام يوسف الأردبيلى [فى كتابه الأنوار . لو قيل لرجل ما الإيمان ؟ فقال لاأدرى كان كافرا] لان الايمان هو التصديق الجازم الذى هو ربط القلب وعقده على العلم بما جاء به النبى صلى الله عليه وسـلم مما علم من الدين بالضرورة ، وقول الرجل . لاأدرى ، ينافى علمه وتصديقه بذلك ، ولم ينقل الإيمان فى الشرع إلى غير معنى التصديق ، ولما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، بينه بقوله « الإيمان أن تؤمن بالله » الخ .

[فائدة] الـكافر : اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الايمان وأخفى الـكفر خص باسم المنافق وإن طرأ كفره بعد الاسلام خص باسم المرتد لرجوعه عن الاسلام وإن قال بإلهين أو أكثر خص باسم المشرك لإثباته الشريك فى الالوهيـة وإن كان متدينا ببعض الأديان والـكتب المنسوخة خص باسم الـكتابى ، كاليهودى والنصرانى ، وإن كان يقول بقدم الدهر ، وإسـناد حوادث إليه خص باسم الدهرى ، وإن كان لا يثبت البارى تعالى خص باسم المعطل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم وإظهاره شعائر الاسلام يبطن عقائد هى كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق ، انتهى شرح المقاصـد .
(فان قيل لك ما الايمان) أى ما حقيقته ؟ (فقل . أن تؤمن با)والايمان بالله على معنيين . إيمـان بذاته ، وإيمـان بوحدانيتـه ، فأما الايمـان بذاته الـكريمة فهو أن تعلم أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات ، كما أن صفاته لا تشبه

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمُورٍ هِيَ أَرْكَانُ الإِيمَانِ . فَمَنْ آمَنَ بِهَا وَصَدَّقَ بِالْقَلْبِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ حَقًّا ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا

الصفات ، وكلّ ماتصورته فى ذهنك أو توهمته فى وهمك فالله تعالى بخلافه ، لأنك مخلوق ، وكل ماتصورته أو توهمته مخلوق مثلك .

وأما الايمان بوحدانيته ، فهو أن تعلم أنه منفرد بالملك والتدبير ، وأنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله (وملائكته) جمع ملك ، ومعنى الايمان بهم التصديق بوجودهم ، وبأنهم كما وصفهم الله بقوله ـ عباد مكرمون ـ (وكتبه) معنى الايمان بالكتب[1] التصديق بأنها كلام الله المنزل على رسله ، وكل ماتضمنته فهو حق (ورسله) ومعنى الايمان بهم التصديق بما جاءوا به عن الله (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة ، ومعنى الايمان به التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه (وبالقدر خيره وشره من الله تعالى) ومعنى الايمان بالقدر أن تعتقد أن الله تعالى قدّر الخير والشر قبل خلق الخلق ، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره . والقدر بفتح الدال هو إيجاد الأشياء على قدر مخصوص ، ووجه معين أراده الله سبحانه وتعالى . والقضاء هو إرادة الأشياء فى الأزل على ما هى عليه (فهذه ستة أمور . هى أركان الإيمان) أى قواعده التى يبنى عليها (فمن آمن بها وصدق بالقلب فهو مؤمن) إيمانا (حقا) أى فهو كامل الإيمان .

وأعلم أن الايمان لغة هو مطلق التصديق ، وقد نقل فى الشرع إلى التصديق بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، فيجب على كل مكلف أن يصدق بذلك ويؤمن به (ومن) بلغ وهو مكلف و (لم يؤمن بها) أى بالأركان الستة

---

(١) أى التى لم يدخلها التحريف والتبديل والتغيير .

أَوْ أَنْكَرَ وَاحِداً مِنْهَا فَهُوَ كَافِرٌ ، فَإِنْ قِيلَ لَكَ : مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بِاللهِ ؟ فَقُلْ: هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْجُودٌ لَا شَكَّ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا مُعِينَ وَلَا وَزِيرَ وَلَا مِثْلَ لَهُ ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ ، وَأَبَدِيٌّ لَا فَنَاءَ لَهُ ، وَأَنَّهُ خَالِقٌ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ .

(أو أنكر واحدا منها فهو كافر) لأنه فى الأولى لا إيمان له ، والكافر اسم لمن لا إيمان له ، ولأنه فى الثانية أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ومنكر ذلك كافر .

واعلم أن المصنف بعد ما أتى بأركان الإيمان إجمالا أتى بشرح معانيها مع كمال التفصيل والتوضيح . فقال رحمه الله . (فان قيل لك . ما معنى الايمان بالله) سبحانه وتعالى (فقل . هو أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى موجود) يقال . اعتقد الانسان كذا . أى عقد عليه قلبه وضميره ، والمراد هنا . أن تربط وتعقد قلبك مع التصميم على أن الله موجود (لاشك) يعتريك فى وجوده . والشك هو التردد وعدم اطمئنان القلب بثبوت الشيء أو نفيه (و) أن تعتقد (أنه لا إله) أى لا معبود بحق فى الوجود (إلا هو ، و) أن تعتقد (أنه واحد) فرد صمد (لاشريك له) فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله (ولا معين) ولا مساعد (ولا وزير) يستعين به ، بل هو المستعان (ولا مثل له) ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (و) أن تعتقد (أنه قديم لا ابتداء له) القديم هو من لا أول له (و) أنه (أبدىّ لا فناء له)الأبدىّ هو الذى لا يلحقه العدم(و)أن تعتقد (أنه خالق لجميع المخلوقات) أى محدثهم من العدم إلى الوجود . والخلق . هو إنشاء الشيء وإحداثه من العدم إلى

ورَازِقٌ لِجَمِيعِ الحَيَوَانَاتِ، ومَوصُوفٌ بِصِفَاتِ الكَمَالِ كَالعِلمِ والقُدرَةِ، والسَّمعِ، والبَصَرِ. مُنَزَّهٌ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ كَالجَهلِ، والعَجزِ، وأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي مُلكِهِ مَا يَشَاءُ، ويَحكُمُ فِي خَلقِهِ مَا يُرِيدُ ويَختَارُ. فَإِن قِيلَ لَكَ: مَا مَعنَى الإِيمَانِ بِالمَلَائِكَةِ؟ فَقُل: هُوَ أَن تَعتَقِدَ أَنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً خَلَقَهُم مِن نُورٍ لَيسُوا بِذُكُورٍ وَلَا إِنَاثٍ

الوجود، وهذا لايكون إلا من الله سبحانه وتعالى. والمخلوقات جمع مخلوق (و) أن تعتقد أنه (رازق لجميع الحيوانات) الرزق هو ماساقه الله إلى الحيوان مما ينتفع به، فيدخل فيه رزق الإنسان من مأكول وغيره، حلالا كان أو حراما. قال فى الزبد. * والرزق ما ينفع ولو محرما * وقال فى الجوهرة. * والرزق عند القوم ما به انتفع * بالبناء للمجهول (و) أن تعتقد أنه (موصوف بصفات الكمال كالعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر) وأنه (منزه) أى مبرأ (عما لا يليق بجلاله) من أضداد هذه الصفات (كالجهل، والعجز) والإكراه، والصمم، والعمى (و) أن تعتقد (أنه يتصرف فى ملكه) وملكوته ويفعل (ما يشاء) فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن (ويحكم فى خلقه مايريد ويختار) لاراد لأمره، ولا ناقض لحكمه. فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته عجزوا عن ذلك، سبحانه جل شأنه (فان قيل لك مامعنى الإيمان بالملائكة؟ فقل هو أن تعتقد أن لله ملائكة خلقهم من نور ليسوا بذكور ولا إناث) بل هم أجسام لطيفة نورانيـــة قادرة على

وَلَيْسَ لَهُمْ أَكْلٌ وَلاَ شُرْبٌ ، وطَعَامُهُمْ : التَّقْدِيسُ ، والتَّسْبِيحُ ، والْعِبَادَةُ ، والْمُنَاجاةُ . فَهُمْ عِبَادُ اللهِ الْمُكْرَمُونَ ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . وعَنْ عِبَادَتِهِ لاَ يَفْتُرُونَ ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ عَنِ الْمَعَاصِي ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . وكُلُّهُمْ دَاخِلُونَ فِى حُكْمِ قَوْلِهِ تَعَالَى : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ

التشكل بأشكال مختلفة : شأنها طاعة الله ، ومسكنها السموات غالباً . ومنهم من يسكن الأرض (وليس لهم أكل ولا شرب) أى لا يأكلون ولا يشربون (و) إنما (طعامهم التقديس والتسبيح) وهما بمعنى واحد . أى طعامهم الذى يتغذون به تنزيه الله عن كل مالا يليق بجلاله[1] (والعبادة) أى الطاعة لله تعالى ولا ينتظرون بأعمالهم إلا رضى الله والتنعم برؤية وجهه الكريم فى الآخرة ، فلا يتنعمون بجنة ، ولا يتعذبون بنار فدخولهم الجنة والنار على حد سواء ، فلذا كان منهم خزنة للجنة وخزنة للنار (و) كذلك طعامهم (المناجاة) وهى فى الأصل المخاطبة والمكالمة بالسر ، والمراد بها الأذكار والتسبيح . ومناجاة الرب للعبد الفتح ، ورفع الأستار ، وتكون بالتفهيم (فهم عباد الله المكرمون) بالعصمة من الزلل (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وعن عبادته لا يفترون) ولا ينامون (وهم معصومون عن المعاصى ، كما قال الله تعالى . لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) به من الطاعة ، والتدبير (وكلهم) يموتون بالنفخة الأولى إلا حملة العرش والرؤساء الأربعة ، فانهم يموتون بعدها فهم (داخلون فى حكم قوله تعالى . كل شىء هالك إلا

---

(١) أى أن ذلك بالنسبة إليهم كالطعام بالنسبة للحيوان فالكلام على التشبيه .

وجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ . ثُمَّ يُنْشِئُهُمُ اللهُ وَيُعِيدُهُمْ إلَى الحَالَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ المَوْتِ . وأَفْضَلُ المَلائِكَةِ أَرْبَعَةٌ : جِبْرَائِيلُ ، وَمِيكَائِيلُ ، وَإِسْرَافِيلُ ، وعَزْرَائِيلُ ، فَجِبْرَائِيلُ صَاحِبُ الوَحْيِ ، وَمِيكَائِيلُ صَاحِبُ المَطَرِ ، وَإِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ ، وَعَزْرَائِيلُ مَلَكُ المَوْتِ ، وَكَّلَهُ اللهُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الخَلائِقِ ، فَيَظْهَرُ لِلْمُؤْمِنِ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ ، ويَظْهَرُ لِلْكَافِرِ بِصُورَةٍ قَبِيحَةٍ .

وجهه، له الحكم وإليه ترجعون ، ثم ينشئهم الله ويعيدهم إلى الحالة التى كانوا عليها قبل الموت) وكذلك جميع المخلوقات بالنفخة الثانيـــة ، فترجع الأرواح لأجسادها لا تخطىء روح جسدها ، ودليل ذلك قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وما بين النفختين أربعون سنة (وأفضل الملائـكة أربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل) وهؤلاء هم الموكلون بالتصرف (فجبرائيل صاحب الوحى) أى صاحب الخبر الذى يأتى به من الله للأنبياء عليهم الصلاة والسلام (وميكائيل صاحب المطر) فهو موكل بكيل الأمطار ، والأرزاق ، وتصوير الأجنة فى الأرحام (وإسرافيل صاحب الصور) فهو موكل بالنفخ ، وباللوح المحفوظ (وعزرائيل) بفتح العين (ملك الموت ، وكله الله بقبض أرواح الخلائق) أى بإخراج كل روح من مقرها ولو قملة أو بعوضة (فيظهر للمؤمن بصورة حسنة) ويترفق بإخراج روحه (ويظهر للـكافر بصورة قبيحة) . روى عن ابن مسعود وابن عباس : أن إبراهيم عليه السلام

فَمَنْ قَالَ : لَيْسَ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ . وَأَنَّ أَصْنَافَ الْمَلَائِكَةِ كَثِيرَةٌ ، مِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، وَمِنْهُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ .

قال : يا ملك الموت أرنى كيف تقبض أنفاس الكفار؟ قال يا إبراهيم لا تطيق ذلك . قال بلى . قال : أعرض ، فأعرض ثم نظر فإذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهيب النار ، فغشى على إبراهيم ثم أفاق ، وقد تحول ملك الموت إلى الصورة الأولى. فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك هذه لكفاه ، فأرنى كيف تقبض أنفاس المؤمن ؟ قال : أعرض ، فأعرض ثم التفت فإذا برجل شاب أحسن الناس وجها ، وأطيبهم ريحا فى ثياب بيض . فقال : يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند الموت من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه . (فمن قال ليس لله ملائكة فهو كافر) لوجوب الإيمان بهم ، وللنص على وجودهم فى القرآن . ولأنه يلزم من قوله ذلك تكذيبه للنبى ﷺ ، (و) اعلم (أن أصناف الملائكة كثيرة : منهم حملة العرش) وهم أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً ، وهم أربعة الآن ، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين . كما قال (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (ومنهم الكرام الكاتبون) الموكلون بكتابة ما يصدر عن المكلف قولا وفعلا واعتقادا ، ولا يفارقونه إلا عند نحو الجماع ، ولا يمنعهم ذلك عن كتابة ما يصدر منه حينئذ ، وهما : رقيب ، وعتيد ، ومعنى رقيب . الحافظ . ومعنى عتيد : الحاضر ، وكل واحد منهما يسمى بهذين الإسمين ، كما قال القائل :

هما رقيب وعتيد علما ... لكل واحد كما قد علما

(ومنهم خزنة الجنة) ورئيسهم رضوان (ومنهم خزنة النار) ورئيسهم مالك ،

وَلاَ يَعلَمُ عَدَدَهُمْ إلاَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى . فَإِنْ قِيلَ لَكَ مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بِالْكُتُبِ ؟ فَقُلْ : هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَهُوَ كَلاَمُهُ ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ .

ومنهم موكلون بالسحاب والأمطار والبحار (ولا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى) لقوله ــ وما يعلم جنود ربك إلا هو ــ (فإن قيل لك ما معنى الإيمان بالكتب) المنزلة ، والمراد بها . ما يشمل الصحف المنزلة فى الألواح ، أو على لسان الملك (فقل . هو أن تعتقد أن جميع ما أنزل الله من الكتب على المرسلين ، وهو كلامه) القديم (غير مخلوق) غير . خبر أن ، وجميع اسمها . ولا خلاف بين أهل الملل فى كون الباري متكلما ، وإنما الخلاف فى معنى الكلام ، فعند أهل السنة كلام الله ليس مخلوقا ، لأنه صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت ، منزة عن التقدم والتأخر .

وأعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسى القديم القائم بذأته تعالى ، ويطلق على الكلام اللفظى الذى نقرؤه ، وعلى هذا الإطلاق الأخير يحمل قول سيدتنا عائشة رضى الله عنها « ما بين دفتى المصحف كلام الله » ومع كون اللفظ الذى نقرؤه حادثا لا يجوز أن يقال ، إن القرآن حادث إلا فى مقام التعليم لأنه يطلق على الصفة القديمة . وأما قوله تعالى ــ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ــ ، فالمراد به محدث الإتيان لهم لا الوجود . فهو قديم فى العين ، حادث فى الإتيان .

وَأَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ[1] مِنَ الأَخْبَارِ وَالْقِصَصِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ هُوَ حَقٌّ لا شَكَّ فِيهِ ، فَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ كُتُبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ جَحَدَ آيَةً مِنْهَا فَهُوَ كَافِرٌ وَجَمِيعُ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى الرُّسُلِ مِائَةُ صَحِيفَةٍ وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ : عَلَى آدَمَ عَشْرُ صُحُفٍ ، وَعَلَى شِيثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً ،

فائدة

فى الفرق بين القرآن ، والحديث القدسى ، والحديث النبوى .

القرآن معناه ولفظه مضافان إلى الله وهو معجز ، والحديث القدسى معناه مضاف إلى الله ، ولفظه إلى النبى وهو غير معجز . والحديث النبوى معناه ولفظه مضافان إلى النبى ، وبالنظر إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى لافرق بين الحديثين ، إلا أن الأول مروى عن الله ، والثانى مروى عن النبى (و) أن تعتقد (أن جميع ما) ورد (فيه من الأخبار) الماضية والمستقبلة (والقصص) جمع قصة (والوعد) بالخير لأهل الصلاح (والوعيد) بالشر لمن خالف أمر الله (هو حق لا شكّ فيه) وقد تقدّم معنى الشك (فمن أنكر شيئا من كتب الله عز وجل أو جحد)هو بمعنى أنكر إلا أن الجحود لا يكون إلا على علم من الجاحد (آية منها فهو كافر) للزوم ذلك تكذيبه للنبى صلى الله عليه وسلم[2] (وجميع الكتب المنزلة على الرسل) جمع رسول وقد مر معناه (مائة صحيفة وأربعة كتب على آدم عشر صحف) جمع صحيفة ، وهى قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه ، وآدم هو أبو البشر . وسمى بآدم لأنه خلق من أديم الأرض (وعلى شيث خمسون صحيفة) وشيث

---

(١) الضمير راجع الى الكلام المنزل . (٢) الأولى الرسالات الإلهية .

وَعَلَى إِدْرِيسَ ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً ، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرُ صُحُفٍ ، وَالتَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى ، وَالزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ ، وَالْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى ، وَالْفُرْقَانُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . وَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ ، لِأَنَّهُ مُحْكَمٌ غَيْرُ مَنْسُوخٍ .

هو ابن آدم، وكانت ولادته لمضى مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم وهو وصيه ومعنى شيث : هبة الله (وعلى إدريس ثلاثون صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحف) وإبراهيم هو ابن تارخ،وهو آزر بن ناحور،وولد إبراهيم بالأهواز، وقيل ببابل ، بعد الطوفان بألف وإحدى وثمانين سنة ، وإدريس هو جد نوح . وهو الذى رفعه الله إلى السماء ، وكان ذلك قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة ، ومما جاء فى صحفه : لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرا فإنه أعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين (والتوراة على موسى) بن عمران بن قاهاث ابن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم (والزبور على داود) بن بيشار ابن عوفيد بن بوعز بن سلمون ، بينه وبين إبراهيم أحد عشر أبا (والإنجيل على عيسى) ابن مريم ومريم حملت بعيسى وهى بنت ثلاث عشرة سنة، وكان ميلاد عيسى فى بيت لحم ، وهى قرية قريبة من القدس ، سنة أربع وثلاثمائة من غلبة الاسكندر ، ورفع بعدها سنة ثلاثمائة وست وثلاثين ، وبين رفعه ومولد النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمس وأربعون سنة (والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم) وهو القرآن الكريم ، وهذه الكتب الأربعة يجب على المكلف معرفتها تفصيلا (والقرآن) المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (أفضل من جميع الكتب المنزلة) من السماء (لأنه) أى القرآن (محكم غير منسوخ) المحكم : هو الذى يعمل به وهو خلاف المنسوخ،ولأنه محفوظ من

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَغَيْرُهُ أَحْكَامُهُ مَنْسُوخَةٌ لَا يَجُوزُ قِرَاءَتُهَا وَلَا كِتَابَتُهَا لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَدْ غَيَّرُوهَا وَبَدَّلُوا أَحْكَامَهَا وَأَحَلُّوا حَرَامَهَا ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهَا ، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

التحريف والتبديل (إلى يوم القيامة) . قال الله تعالى — إنا نحن نزلنا الذكر - أى القرآن — وإنا له لحافظون - أى من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان ،وسمى يوم القيامة بيوم القيامة لقيام الخلق فيه من قبورهم أو لقيام الناس فيه لرب العالمين (وغيره) أى غير القرآن من الكتب المنزلة (احكامه منسوخة) بشريعته صلى الله عليه وسلم ، لأن بعثته عامة وشريعته ناسخة لشرائع من قبله من الأنبياء وباقية إلى يوم القيامة لا ينسخها غيرها أبدا ، لقوله صلى الله عليه وسلم « لن تزال هـذه الأمة قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » أى الساعة ، ومن أجل أن الشرائع كلها منسوخة بشريعته صلى الله عليه وسلم (لا يجوز) العمل بتلك الكتب المنزلة ، ولا (قراءتها ولا كتابتها)لاسيما التوراة والإنجيل (لأن اليهود) وهم أمة موسى عليه السلام (والنصارى) وهم أمة عيسى عليه السلام (قد) حرفوها و (غيروها ، وبدلو أحكامها ، وأحلو حرامها ، وحرموا حلالها) هذا فى التوراة الأصلية والإنجيل الأصلى اللذين فقدا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، وأما الموجودان الآن بيد اليهود والنصارى فهما بمنزلة كتابين فى السير فيهما الروايات الصحيحة والكاذبة ، فكل رواية صدقها القرآن فهى مقبولة والتى كذبها فهى مردودة (عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .
قال الإمام النووى . يجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة ، كقوله : لعن الله

فَإِنْ قِيلَ لَكَ : مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ ؟ فَقُلْ هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ عِبَادُ اللهِ ، وَأَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ بِالْحَقِّ إِلَى الْخَلْقِ وكُلُّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللهِ ، مُنَزَّهُونَ عَنِ الكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ عَلَى اللهِ تَعَالَى ، وَمَعْصُومُونَ عَنِ الكُفْرِ والمَعَاصِي .

الظالمين ، لعن الله اليهود والنصارى وغيرذلك ، كما جاء فى الأحاديث (فان قيل لك ما) حقيقة (معنى الإيمان بالرسل) جمع رسول ، وقد مرّ معناه (فقل : هو أن تعتقد أن جميع الأنبياء) جمع نبى ، وقد مر معناه (و) أن جميع (الرسل) هم (عباد الله) سبحانه وتعالى منزهون عن كل نقص (و) أن تعتقد (أنهم مبعوثون) أى مرسلون بالهدى و (بالحق إلى) كافة (الخلق و) أنهم (كلهم صادقون فيما أخبروا به عن الله) تعالى من أحوال البرزخ وأحوال يوم القيام وغير ذلك (منزهون) عن كل عيب و (عن) كل وصف نقص ، مثل (الكذب ، والافتراء على الله تعالى) الكذب : هو الإخبار بخلاف الواقع ،والافتراء بمعناه (و) أنهم معصومون) عن الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها ، فهم معصومون (عن الكفر) بجميع أنواعه (و) عن (المعاصى) بجميع أنواعها لثبوت إجماع أهل الحق على عصمتهم من كل مخالف وعيب فى الأقوال والأفعال والظاهر والباطن ، وعلى نزاهتهم من جميع الذنوب والآثام،وما نقله بعض المؤرخين فيهم من المساوىء التى لاتليق بمقامهم لايجوز نسبة ذلك إليهم ، وما جاء فى القرآن والسنة مما ظاهره إسناد شىء من الذنوب والمعاصى إليهم ، فهو عند أهل السنة محمول فى حقهم على السهو أو مؤول بترك التيقظ ، أو بترك الأفضل ، أو بترك الأولى ، ولا يجوز النطق بشىء من معاصيهم فى غير مورده إلا فى مقام التعليم ، لأنها كلها من باب حسنات الأبرار سيئات

وَأَوَّلُ الأنبِيَاءِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمَعْرِفَةُ عَدَدِهِمْ لَيْسَتْ شَرْطًا لِصِحَّةِ الإِيمَانِ .

المقربين ، يعنى أنها بالاضافة إلى على أحوالهم ، وسنى مقاماتهم كالسيئات الاترى إلى قول بعضهم منذ ثلاثين سنة وأنا فى الاستغفار من قولى : الحمد لله وذلك لأنه وقع حريق ببغداد ، فقيل له سلم حانوتك ، فقال الحمد لله ، فاذا كان هذا حال الأولياء فما بالك بحال الأنبياء مع علو مقامهم وكمال معرفتهم بالله .
(و) اعلم أن (أول الأنبياء) وجودا هو (آدم) أبو البشر (عليه السلام) ولا ينافى هذا ماقاله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الأنبياء خلقا ، وآخرهم بعثا وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين » فالخلق هنا هو التقدير دون الايجاد الحسى وقوله « كنت » إشارة إلى ماذكر ، ، فانه كان قبل تمام خلقة آدم فى التقدير لا فى الايجاد (وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم) أى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصل النبوة تمهد بآدم ، ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال به صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلفت الروايات فى عدد الرسل والأنبياء ، والصحيح الإمساك عن حصرهم فى عدد ، لقوله تعالى « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » فالواجب التصديق بأن لله رسلا وأنبياء على الاجمال فقط ، ولذلك قال المصنف (ومعرفة عددهم ليست شرطا لصحة الايمان) لكن يجب معرفة خمسة وعشرين على التفصيل كما أشار إلى ذلك بعضهم بقوله :

حتم على كل ذى التعريف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانيــة ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

والمذكورون فى الآية : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، ونوح ، وداود ،

وَجاء فِي بَعضِ الأَحَادِيثِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلتُ : يا رَسُولَ اللهِ كَمِ الأَنبِيَاء ؟ قَال : مِائَةُ أَلفٍ وأَربَعَةٌ وَعِشرُونَ أَلفاً ، فَقُلت كَمِ الرُّسُلُ ؟ قَالَ ثَلاثُمائةٍ وثَلاثَةَ عَشَرَ ، فَالأَحوَطُ أَن تَقُولَ : آمَنتُ بِجَمِيعِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ .

وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهرون ، وزكريا ، ويحي وعيسى وإلياس ، وإسماعيل ، واليسع . ويونس ، ولوط ، وليس المراد من معرفتهم أن يحفظ أسماءهم ويسردها ، بل المراد أنه لو سئل عن واحد منهم هل هو نبيّ ورسول أم لا ؟ يقول نعم هو نبي ورسول (وجاء فى بعض الأحاديث عن أبى ذرّ) الغفاريّ الصحابيّ الجليل ، واسمه جندب بن جنادة رضى الله عنه (قال : قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . فقلت كم الرسل ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر) وقيل الأنبياء مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفا . وقيل غير ذلك ، والأفضل بعد نبينا هو إبراهيم ، ثم موسى ، ويليه عيسى ، ويليه نوح . وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم : أى الصبر وتحمل المشاقّ المشار إليهم بقوله تعالى ـ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ـ وذكرت أسماؤهم فى قوله تعالى ـ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ـ . وقد نظمها على الترتيب فى الفضل بعضهم بقوله

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

فيجب على المكلف الإيمان بهم تفصيلا ، ومعرفة ترتيبهم فى الأفضلية . وأما غيرهم من بقية الأنبياء والرسل ما عدا الخمسة والعشرين فلا يجب عليه إلا أن يؤمن بهم جميعا ، وحيث قد علمت اختلاف الروايات فى عدد الأنبياء والرسل (فالأحوط أن تقول : آمنت بجميع الأنبياء والمرسلين) من غير حصرهم فى

وَلا يتعيَّنُ عَدَدُهُمْ ، وينبغِي أَنْ تعلَمَ أَنَّ الرَّسُولَ أفضَلُ مِنَ النَّبيِّ . لِأَنَّ الرَّسُولَ صَاحِبُ كِتَابٍ وشَرِيعَةٍ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ ، والنَّبيُّ مَنْ كَانَتْ نبُوَّتُه إِلْهَاماً أَوْ مَناماً أَوْ هَاتِفاً ،

عدد ، لأنه ربما أدّى ذلك إلى إثبات النبوة لمن ليس كذلك ، أو إلى نفيها عمن كان كذلك (ولا يتعين) عليك (عددهم) ولا معرفة أسمائهم كلهم (وينبغى) لك (أن تعلم أن الرسول أفضل من النبى ، لأن الرسول صاحب كتاب وشريعة ، ونزل عليه جبرائيل) فى قول المصنف ، لأن الرسول الخ أبحاث، لأنه يفهم منه أن الرسول لا يكون إلا صاحب كتاب وشرع ، ويشكل بقوله تعالى — وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين — ومع ذلك لم يوح إليهم بكتاب مستقل ، ويشكل بمثل داود عليه السلام ، إذ له كتاب دون الشريعة ، ومع ذلك أمر بمتابعة الشرع السابق . قوله : ونزل عليه جبرائيل : أى بالوحى ، وهو الكلام الخفى يدرك بسرعة ، ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة .

والوحى على ثلاثة أنواع . بلا واسطة ، بل يخلق الله فى قلب الموحى إليه علما ضروريا بإدراك ما شاء الله إدراكه من الكلام النفسى القديم القائم بذاته تعالى ، أو بواسطة خلق الأصوات فى بعض الأجسام ، أو بإرسال ملك ، وإلى الأول أشير بقوله تعالى ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ـ وإلى الثانى بقوله ـ أو من وراء حجاب ـ وإلى الثالث بقوله ـ أو يرسل رسولا ـ (والنبى من كانت نبوته إلهاما) الإلهام : إلقاء شىء فى القلب بواسطة الفيض يطمئن له القلب ، ومنه وحى أم موسى (أو مناما) . قالت عائشة : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (أو هاتفا) ومنه ماسمعه سيدنا

ولاَ شَكَّ أَنَّ صَاحِبَ الْكِتَابِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ ، وأَنَّ الرَّسولَ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْكِتَابِ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِ الصُّحُفِ ، وَيَجِبُ أَنْ تَعلَمَ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِينَ ، وأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ .

موسى عليه السلام ، يقال هتف بفلان . أي صاح به . والهاتف . ما يسمع صوته ولا يرى شخصه . وفي قول المصنف . والنبي من كانت نبوته إلهاما الخ إشكال ، لأنه يفهم منه أن النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك ، وليس كذلك (ولا شك أن) الرسول (صاحب الكتاب) هو (أفضل من غيره) سواء كان صاحب صحف أم لا كما سيأتي (وأن الرسول) مطلقا (أفضل من النبي) وأفضلية الرسول لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة (وأن صاحب الكتاب أفضل من صاحب الصحف) ويشكل هنا عما تقدم من أن أفضل الأنبياء بعد نبينا هو إبراهيم عليه السلام ، وهو ليس صاحب كتاب (ويجب) عليك (أن تعلم أن نبينا محمد بن عبد الله أفضل من الأنبياء والمرسلين) جميعاً لقوله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر » . (وأنه خاتم النبيين) أي والمرسلين لدخول الأخص تحت الأعم ، ويجب عليك معرفة اسمه صلى الله عليه وسلم ومعرفة آبائه من جهة أبيه وأمه . أما آباؤه من جهة أبيه فهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نزار ابن معد بن عدنان . إلى هنا ثبت بطرق صحيحة ، وما فوق ذلك ينبغي الإمساك عن تعيينه .

وأما نسبه من جهة أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن كلاب بن مرة .

وَلاَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ وَلاَ مُرْسَلٌ ، وَهُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ بِمَكَّةَ ٱلْمُشَرَّفَةِ ، وَنَشَأَ بِهَا ،

فتجتمع مع النبى ﷺ فى كلاب بن مرة وعبد مناف الذى فى نسبه غير عبد مناف الذى فى نسبها .

وأما أولاده ﷺ فهم سبعة : ثلاثة ذكور وأربعة إناث وترتيبهم فى الولادة : القاسم ، وهو أول أولاده ﷺ ، ثم زينب ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم . ثم عبد الله وهو الملقب « بالطيب وبالطاهر » وكلهم من سيدتنا خديجة بنت خويلد رضى الله عنها والسابع إبراهيم من مارية القبطية ، وهى جارية أهديت له من ملك مصر فولدت له إبراهيم وقد نظم بعضهم أسماءهم فى قوله متوسلا .

يا ربَّنا بالقاسِمِ بن محمدٍ ... فبزينبٍ فرقيَّةٍ فبفاطمَهْ

وبأم كلثومٍ فعبد الله ثـ ... ـم بحق إبراهيم نجِّ ناظِمَهْ

وأما زوجاته صلى الله عليه وسلم اللاتى توفى عنها فتسع . وقد نظم بعضهم أسماءهن فى قوله :

توفى رسول الله عن تسع نسوةٍ ... إليهن تُعزَى المكرماتُ وتُنسبُ

فعائشةٌ ميمونةٌ وصفيةٌ ... وحفصةُ تتلوهن هندٌ وزينبُ

جُوَيْرِيَةٌ مع رَمْلةٍ ثم سَودةٍ ... ثلاثٌ وستٌ نظمهُنَّ مهذَّبُ

(و) يجب عليك أن تعلم أن (لا بعده نبى ولا مرسل) ولا يشكل ذلك بنزول سيدنا عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، لأنه إنما ينزل حاكما بشريعة نبينا ومتبعا له.

ويجب عليك أيضا ان تعرف شيئا من أحواله وسيرته وموضع ولادته (وهو) أنه (صلى الله عليه وسلم ولد بمكة المشرفة ونشأ بها) بل يجب على

الولى أن يعلم الصغير إذا ميز أنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة، وهو أول واجب للأولاد على أصولهم .

وكان حمل أمه به صلى الله عليه وسلم فى أول رجب، و بعد شهر من حمله توفى أبوه فى المدينة عند أخواله بنى النجار وعمره ثمانى عشرة سنه .

ولما تمت أشهر حمله صلى الله عليه وسلم ولد فى ثانى عشر ربيع الأول من عام الفيل ، سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ميلادية ، أى العام الذى حبس فيه الفيل عن دخول مكة لهدم الكعبة .

وأرضعته أمه ثلاثة أيام ثم ثويبة مولاة عمه أبى لهب أياما، ثم حليمة السعدية وبقى عندها سنتين ، ثم ردته إلى أمه وقد حصل لها ببركته صلى الله عليه وسلم من البركة وسعة العيش مالا يحد ولا يحصى ، ولله در من قال :

لقد بلغت بالهاشمى حليمة مقاما علا فى ذرة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

ولما بلغ ست سنين : ماتت أمه صلى الله عليه وسلم ، فكفله جده عبدالمطلب

ثم لما بلغ ثمانى سنين توفى جده ، فقام بكفالته عمه أبو طالب ، واعتنى به اعتناء كبيرا ، واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب مات فى شوال سنة عشر من النبوة ، واسم عبد المطلب : عامر ، واسم أبيه هاشم : عمرو ، واسم عبد مناف : المغيرة ، واسم قصى : زيد ، ويدعى مجمعاً لأنه جمع قبائل قريش فأنزلها مكة .

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة : سافر مع عمه فى تجارة إلى الشام فعرفه الراهب بحيرا .

ولما بلغ خمسا وعشرين سنة سافر إلى الشام فى تجارة لخديجة بنت خويلد ومعه ميسرة غلامها ، فعرفه الراهب نسطورا . وقال : هذا آخر النبيين ليتنى

فَلَمَّا تَمَّ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً بَعَثَهُ اللهُ نَبِيًّا مُرْسَلاً .

أدركه ، وتزوج خديجة بعد ذلك بشهرين وأيام ، وأصدقها عشرين بكرة ، وكان عمرها يومئذ أربعين سنة ، ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم غيرها حتى ماتت ، وكان موتها بعد أبى طالب بثلاثة أيام وتتابعت على النبى صلى الله عليه وسلم بموتها المصائب ، ونالت منه قريش خصوصا أبالهب بن عبد المطلب والحكم بن العاص وغيرهما .

ولما بلغ ﷺ خمسا وثلاثين سنة شرعت قريش فى بناء الكعبة ، فكان ﷺ ينقل الحجر مع أشراف مكة ، وعندما أرادوا وضع الحجر الأسود اختلفوا لأن كل قبيلة أرادت أن ترفعه إلى موضعه . ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الحرم ، فكان رسول الله ﷺ أول داخل فحكموه ، فأمرهم أن يضعوا الحجر فى ثوب ، وأن تمسك كل قبيلة بطرف من أطرافه ، وأن يرفعوه إلى موضعه ، ففعلوا ذلك وأخذه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، ووضعه فى موضعه . (فلما تم له أربعون سنة بعثه الله نبيا مرسلا) إلى كافة الخلق ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وكان قبل أن يبعثه الله يتعبد فى غار حراء على دين ابراهيم عليه السلام ، وبينما هو معتكف فيه يوم الإثنين سبع عشر من شهر رمضان إذ ظهر له الملك ، وقال له : يا محمد أبشر أنا جبريل ، وأنت رسول الله إلى الخلق ، ثم قال اقرأ ، فقال ما أنا بقارىء ، فضمه ثم قال له اقرأ فقال ما أنا بقارىء فضمه أيضا ثم قال ـ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ـ فقرأها ﷺ ، وهذا أول ما أنزل من القرآن عليه ﷺ .

[فائدة] كان قومه ﷺ على بقايا من دين أبيهم إبراهيم عليه السلام إلا طائفة من قريش ، منهم أبو جهل وغيره وكانوا مع ذلك يؤمنون

بالله ويوحدونه فى صفاته وأفعاله، ويؤمن بعضهم بالبعث والحساب ، وأما آباؤه ﷺ وأمهاته ، فكلهم إلى آدم على التوحيد ، يدل لذلك قوله ﷺ : «فلم أزل أنتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصلت إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى أمى » الحديث ، وقوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم — وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم — فى قوله — ومن ذريتنا أمة مسلمة لك — اختصاص لبعض ذريته وهم آباء نبينا ﷺ واجداده من إبراهيم إلى عبد الله اعتناء بهم، وقوله — وابعث فيهم — أى فى تلك الأمة المسلمة من ذريتى — رسولا منهم — أى من أنفسهم وهو سيدنا محمد ﷺ — يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب — أى القرآن . وقد تضمنت هذه الآية أموراً : أحدها أن تكون الأمة التى بعث فيهم سيدنا محمد ﷺ : منهم مسلمة بالاسلام المجعول من الله تعالى . والثانى أن يكون ذلك الرسول من ذرية إبراهيم ، لأن الأمة التى بعث فيهم رسولا كانوا من ذريته . الثالث امتداد الملة الحنيفية والشريعة الخليلية إلى بعثة نبينا ﷺ وعدم انقطاعه بين إبراهيم وبين بعثته ﷺ ، وإذا ثبت امتداد الإسلام ، وعدم انقطاعه من إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثة نبينا ﷺ ، وثبت وجود الأمة الإسلامية التى بعث فيها منها ثبت توحيد أبيه عبد الله وإسلامه وتوحيد أمه وإسلامها وثبت كونهما على دين إبراهيم عليه السلام ، انتهى بتصرف من مطالع النور السنى

للبسنوى مع زيادة يسيرة ، وقد ذهب كثير من حفاظ المحدثين إلى أن الله أحياله ﷺ أبويه فآمنا به ، واستدلوا بحديث عائشة رضى الله عنها ، وهو وإن كان حديثا ضعيفا من جهة الصناعة الحديثية ، لكنه صح عند بعض أهل الحقيقه ، كما أشار إليه بعضهم بقوله :

أيقنت أن أبا النبي وآمه ... أحياهما الرب الكريم البارى

حتى له شهدا بصدق رسالة ... حقا وتلك كرامة المختار

هذا الحديث ومن يقول بضعفه ... فهو الضعيف عن الحقيقة عارى

قال بعض شراح الحديث : وعلى تسليم أنه حديث ضعيف ، فضعفه إنما هو من جهة الصناعة الحديثية ، وأما نجاة أبويه ﷺ وإيمانهم : بل وحصول أعظم منازل أهل الإيمان لهما ، فهو اعتقادنا ، يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه ، فإذا كان الواحد من ذريته ، بل الواحد من صحابته ، بل من أمته ﷺ يناله من فضل الله ورحمته بواسطته ﷺ وبركته ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، حدث عن البحر ولا حرج ، فكيف لا ينال أبواه ﷺ من ذلك الحظ الأوفر ! والنصيب الأكبر ، كيف وقد منّ الله عليهما بمزية خروجه من بينهما رحمة للعالمين انتهى .

وأما الاستدلال بحديث مسلم على أنهما فى النار ، فقد ردّوه وقالوا بعدم جواز الحكم به على ذلك ، لأن لفظة « إن أبى وأباك » لم يتفق على ذكرها الرواة ، وإنما ذكرها حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضى الله عنه ، وهى الطريق التى رواها مسلم منها ، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر . إن أبى وأباك فى النار ، ولكن قال إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر البتة .

فَإِنْ قِيلَ لَكَ : مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ؟ فَقُلْ : أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَائِنٌ لا شَكَّ فِيهِ ، وَكُلَّ ذِي رُوحٍ يَمُوتُ وَلا يَبْقَى إِلاَّ اللهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ . وَأَنْ تَعْتَقِدَ أَنْ بَعْثَ اللهِ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ حَقٌّ ، وَنَفْخَ إِسْرَافِيلَ

وأخرج البزار ، والطبرانى والبيهقى من طريق إبراهيم بن سعدى ، عن الزهرى ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه . أن أعرابياً قال : يا رسول الله أين أبى ؟ قال فى النار . قال فأين أبوك ؟ قال حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار . وهذا إسناده على شرط الشيخين ، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره ، ذكره السيوطى (قال قيل لك ما معنى الإيمان باليوم الآخر) وسمى باليوم الآخر ، لأنه آخر أيام الدنيا ، بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا ، لأنه ليس منها حتى يكون آخرها (فقل) هو (أن تعتقد أن يوم القيامة كائن) كما وعد الله به (لاشك فيه و) أن تعتقد أن (كل ذى روح يموت) عند فراغ أجله المقدّر : أى تفارق روحه جسده ، لأن الموت هو مفارقة الروح الجسد (ولا يبقى) بعد فناء المخلوقات (إلا الله تعالى ، كما قال الله تعالى : كل من عليها) أى على وجه الأرض ، من الحيوان (فانٍ) أى هالك ، وعُبر بمن تغليباً للعقلاء (ويبقى وجه ربك) أى ذاته تعالى (ذو الجلال) أى العظمة (والإكرام) للمؤمنين بالنعمة عليهم (وأن تعتقد أن بعث الله) بسكون العين مصدر بعث بفتحها (الموتى) جمع ميت (من القبور) جمع قبر (حق) أى ثابت ، والبعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من القبور للحشر ، وهو سوق الخلائق جميعاً إلى الموقف وهو الموضع الذى يقفون فيه لفصل القضاء بينهم (و) أن (نفخ اسرافيل

فى الصُّورِ حَقٌّ ، والحِسَابَ حَقٌّ ، فَمَنْ أنكَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ أوْ مَا فِيهِ مِنَ الأهْوَالِ فَهُوَ كَافِرٌ . فَإنْ قِيلَ لكَ : مَا الإيمَانُ بِالقَدَرِ ؟ فَقُلْ : أنْ تَعتَقِدَ أنَّ جَمِيعَ مَا يَجْرِى فى العَالَمِ وكُلَّ مَا يَحْدُثُ فى الخَلْقِ مِنَ الخَيرِ والشَّرِّ كَالكُفْرِ والايمَانِ والطَّاعَةِ وَالعِصْيَانِ كُلُّهُ بِقَضَاءِ اللهِ وقَدَرِهِ .

فى الصور) النفخة الأولى والثانية (حق) أما الأولى فهى التى لا يبقى عندها حى إلا مات إلا من شاء الله كالملائكة الأربعة الرؤساء ، وأما النفخة الثانية فهى نفخة البعث التى يجمع الله عندها الأرواح فى الصور وفيه ثقب بعددها فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها ، فلا تخطىء روح جسدها . والصور هو قرن عظيم من نور لا يعلم قدر عظمه إلا الله ، وقد مر أن بين النفخة الأولى والثانية أربعين سنة (و) أن تعتقد أن (الحساب حق) لاشك فيه ، وهو توقيف الله الناس على أعمالهم بالتفصيل . قال الله تعالى — ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر — قال ابن عباس وابن مسعود : بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء وما أخره بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها (فمن انكر يوم القيامة أو مافيه من الأهوال) وقد نص عليه الكتاب والسنة (فهو كافر ، فإن قيل لك ما الإيمان بالقدَر ؟ فقل) هو (أن تعتقد أن جميع ما يجرى) ويحدث (فى العالم) العلوى والسفلى من اختلاف الليل والنهار والحياة والموت (وكل ما يجرى و (يحدث فى الخلق) مما يلائم طبائعهم ويوافق نفوسهم كالتنعم والتلذذ بالملاذ كالعافية ، والأكل والمشرب والمنكح ، أو مما تنفر عنه طبائعهم كالآلام والأسقام والأمراض والجوع والعطش ،(و) أن (كل ما يحدث فيهم من الخير والشر كالكفر والإيمان والطاعة والعصيان كله بقضاء الله وقدره) فلا مدبر فى الملك

وَلا مُقَدِّرَ إلاّ اللهُ ، وَلاَ خَالِقَ سِوَى اللهِ ، وأَنْ الخَيْرَ بِقَضَاءِ اللهِ وإِرَادَتِهِ ورِضَاهُ ، والشَّرَّ بِقَضَاءِ اللهِ وإِرَادَتِه ، دُونَ رِضَاهُ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ .

والملكوت (ولا مقدر)لشيء فيهما (إلا الله) سبحانه وتعالى (ولا خالق)فيهما ولا رازق (سوى الله) سبحانه وتعالى ، والأدلة على ذلك كثيرة منها : قوله تعالى ـ الله خالق كل شيء ، والله خلقكم وما تعملون ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء ـ (و) أن تعتقد (أن الخير بقضاء الله وإرادته ورضاه و) أن (الشر بقضاء الله وإرادته دون رضاه ، كما قال الله تعالى : «ولا يرضى لعباده الكفر») وعدم رضاه به لا ينافى أنه واقع بإرادته إذ لا يقع فى ملكه إلا ما يريد ، فالأمر والرضا لا يكونان إلا بالخير ، وأما الإرادة فتتعلق بالخير والشر .

يحكى أن القاضى عبد الجبار ، وكان من رؤساء المعتزلة اجتمع فى مجلس مع الأستاذ أبى إسحاق الأسفراينى ، وكان من أكابر أئمة أهل السنة ، فقال عبد الجبار : سبحان من تنزه عن الفحشاء والنقائص ، يريد الإشارة إلى أن الله يريد الخير ولا يريد الشر ، فقال الأستاذ أبو إسحاق على الفور : سبحان من لا يقع فى ملكه إلا ما يشاء ، فالتفت عبد الجبار وعلم أنه فهم مراده ، فقال أيريد ربك أن يعصى ؟ فقال الأستاذ : أيُعصى ربنا قهراً ؟ فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعنى الهدى وقضى علىّ بالردى أأحسن إلى أم أساء ؟ فقال له الأستاذ إن منعك ما هو لك فقد أساء ، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء ، فانقطع عن الجواب ، فقال الحاضرون : والله كأنه ألقمه حجراً .

... ...

القضاء والقدر : صفتان لله فالقضاء صفة ذات ، وهو إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال . والقدر صفة فعل ، وهو إرادة الله الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين ، والإيمان بالقدر مستلزم للايمان بالقضاء ، ثم من المقضيات ما أحبها الله فيجب علينا حبها كالطاعات والإيمان ، ومنها ما كرهها ، كالفسوق والعصيان ، فيلزم علينا حبها من حيث كون ذلك مقضياً ومقدراً ، وكراهتها وبغضها من حيث إن البارى لم يرض بذلك ولم يأمر به وإن كان ذلك بإرادته إذ الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كما سبق . وقد جعلوا لذلك مثلا «ولله المثل الأعلى» فيمن لسعت الحية إصبعه ، وكانت سلامته موقوفة على قطع إصبعه ، فانه يختار قطعها بإرادته ، لكن بتبعية إرادة السلامة ، ولولاها لم يرد القطع أصلا ، فيقال : هو يريد السلامة ويرضى بها ، ويريد القطع ولا يرضى به .

فإن قلت : يلزم من الرضى بالقضاء والقدر الرضى بالكفر والمعاصى لأن الله قضى بهما وقدرهما على الشخص ، مع أن الرضى بالكفر كفر وبالمعاصى معصيه .

أجيب بأن القضاء غير المقضىّ ، والقدر غير المقدر ، والكفر والمعاصى مقضيّان ومقدّران لاقضاء وقدر ، والذى يجب الايمان والرضى به إنما هو القضاء والقدر . وقالوا : إن للكفر والمعاصى جهتين : جهة كونهما مقضيين ومقدرين وجهة كونهما مكتسبين للعبد فيجب الرضى بهما من الجهة الأولى لامن الثانية .

واعلم أنه وإن وجب الايمان بالقضاء والقدر ، لكن لا يجوز الإحتجاج بذلك توصلا إلى الوقوع فى المعاصى أو تخلصاً من الحدّ بعد الوقوع فيها كأن يقول من أراد شرب الخمر أو ترك الصلاة : قدّر الله علىّ ثم يشرب الخمر

فَإِنْ قِيلَ لَكَ : فَهَلْ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارٌ فى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ ؟ فَقُلْ : لِلْعَبْدِ اخْتِيَارٌ وَقُدْرَةٌ أَعْطَاهُمَا اللهُ إِيَّاهُ ، فَلِذَلِكَ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ ، وَهٰذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ ،

أو يترك الصلاة ، أو يقول من قد شرب الخمر أو ترك الصلاة أومن زنى قدّر الله علىّ ذلك ، وأما إذا كان لدفع الملامة فهو جائز كما جاء فى رواية أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « احتج آدم وموسى . فقال موسى يا آدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة ؟ فقال آدم ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ، تلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن أخلق أربعين سنة ، فحج آدم موسى ». (فان قيل لك : فهل للعبد اختيار فى الفعل والترك ؟ فقل : للعبد اختيار وقدرة أعطاهما الله أياه فلذلك يثاب ويعاقب) .

اعلم أن مسألة الكسب والإختيار، وهما بمعنى واحد : هى من معضلات المسائل وأدقها فى هذا الباب . وقد افترق الناس فيها إلى قدرية وهم المعتزلة ، وسموا قدرية لأنهم يقولون : إن العبد يخلق أفعال نفسه الإختيارية خيرها وشرها بقدرة خلقها الله فيه ، وإلى جبرية ، وسموا بذلك لأنهم يقولون : إن العبد مجبور على الأفعال ، كالحجر الملقى لا يتحرك إلا بمحرك فلس له قدرة ولا اختيار ألبته ، وإلى أهل السنة والجماعة ، وهم لا يقولون قول القدرية ولا يقولون بقول الجبرية ، بل يقولون : للعبد قدرة تتعلق بالفعل يخلقها الله تعالى عند خلق الفعل من غير تأثير لها فيه ، وإنما التأثير لله سبحانه وتعالى فالعبد عندهم له فى أفعاله الاختيارية كسب به صح نسبة الفعل إليه ، وثبت التكليف عليه ، وترتب الثواب والعقاب ، فحركة العبد عندهم بإعتبار نسبتها إليه تسمى كسبا ، وبإعتبار نسبتها إلى الله تسمى خلقا ، فهى خلق الله سبحانه وتعالى ، ووصف للعبد وكسب له (وهذا) هو (مذهب أهل السنة

وَالجماعَةِ .

والجماعة) . قال فى الجوهرة :

وعندنا للعبد كسب كُلـِّفا ‏ ‏ ‏ ‏ ولم يكن مؤثرا فلتعرفا

قال الشارح : والضمير فى عندنا لأهل السنه والجماعة ، بخلاف الجبرية والمعتزلة ثم قال بعد ما بيّن مذهب كل واحد من الثلاثة ، فالجبرية أفرطوا ، والمعتزلة فرطوا ، وتوسط أهل السنة والجماعة ، وخير الأمور أوساطها ، فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغاً للشاربين انتهى .

والمراد بأهل السنة والجماعة فى عرف الناس اليوم هم أتباع الامام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ . وأتباع الإمام أبى منصور محمد بن محمد الماتريدى المتوفى سنة ٣٣٣ هـ وهذا أتباعه ماوراء نهر سيحون وأما أتباع الأشعرى فهم منتشرون فى أكثر بلاد الإسلام ، وأهل المذاهب الأربعة كلهم معتقدون عقيدته وعقيدة الإمام الماتريدى ، ولا خلاف بينهما إلا فى مسائل يعذر كل منهما صاحبه فى الإجتهاد فيها . ونحن بحمد الله عقيدتنا أشعرية ، وطريقتنا علوية ، تلقاها آباؤنا عن آبائهم طبقة عن طبقة :

حتى انتهى لسر الرسول مسلسلا ‏ ‏ ‏ ‏ فيهم إلى هذا الزمان الحاضر

وأول وآخر من تلقينا عنه سيدى وبركتى ، الوالد العلامة : أحمد بن أبى بكر ابن عبد الله بن سميط ، وهو عمن فى طبقته : آخرهم الإمامان القطبان : على ابن محمد بن حسين الحبشى ، وأحمد بن حسن بن عبدالله العطاس ، وهما عمن فى طبقتهما آخرهم الامام القطب عيدروس بن عمر الحبشى ، وهو عن الإمامين عبد الله بن حسين بن طاهر ، وحسن بن صالح البحر ومن فى طبقتهما عن الإمامين أحمد بن عمر بن سميط ، وعبد الرحمن بن علوى : مولى البطيحا ، ومن فى طبقتهما عن الإمامين : حامد بن عمر بن حامد وعلى بن شيخ بن شهاب الدين ومن فى طبقتهما عن الامام حسن بن عبد الله الحداد ، ومن فى طبقته عن

الإمام عبدالله بن علوى الحدّاد ومن فى طبقته عن الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس ومن فى طبقته ، عن الإمام الحسين ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ومن فى طبقته ، عن أبيه الإمام الشيخ أبى بكر بن سالم ومن فى طبقته ، عن الإمام الشيخ شهاب الدين بن عبدالرحمن ومن فى طبقته، عن أبيه الإمام عبد الرحمن ابن على ، والشيخ أبى بكر العيدروس ، ومن فى طبقتهما عن الإمام الشيخ عبد الله العيدروس ، وأخيه الإمام الشيخ على بن أبى بكر ، ومن فى طبقتهما عن أبيهما الإمام الشيخ أبى بكر السكران وعمهما الإمام الشيخ عمر المحضار ومن فى طبقتهما عن أبيهما الشيخ عبد الرحمن السقاف ، ومن فى طبقته عن أبيه الإمام الشيخ محمد بن على مولى الدويلة ، ومن فى طبقته عن الامامين الشيخين عبد الله ، وعلى ابنى علوى بن الفقيه ، ومن فى طبقتهما عن أبيهما الامام الشيخ علوى بن الفقيه المقدم ، ومن فى طبقته عن أبيه الامام سيدنا الفقيه المقدم محمـــد بن على ، ومن فى طبقته عن أبيه الشيخ على بن محمد ، ومن فى طبقته عن الامام الشيخ محمد صاحب مرباط عن أبيه الشيخ على خالع قسم عن أبيه الشيخ علوى بن محمد ، عن أبيه الشيخ محمد بن علوى ، عن أبيه الامام علوى بن عبيد الله ، عن أبيه الامام عبيد الله بن أحمد ، عن أبيه الامام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى ، عن أبيه الامام عيسى بن محمد ، عن أبيه الامام محمد بن على ، عن أبيه الامام على العريضى ، عن أبيه الامام جعفر الصادق ، وأخيه الامام موسى الكاظم ، عن الامام محمد الباقر ، عن أبيه الامام زين العابدين بن على بن الحسين . عن أبيه سيدنا الامام الحسين السبط عن أبيه ســـيدنا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وعن أمه فاطمة الزهراء ، رضوان الله عليهم أجمعين ، عن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، عن جبريل الأمين ، عن الله ســبحانه وتعالى . قال ســيدنا القطب الحبيب

وَإِذا قِيلَ لكَ : الآنَ قَدْ عَرَفْتَ الإِيمَانَ وأَرْكَانَهُ ، فأَخْبِرْنِي عَنِ الإِسلامِ ، فَقُلْ : الإِسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ ، وأَنْ تَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ

على بن محمد الحبشى :

ومن مضى من أهل عصرى أئمة … أخذت طريق الحق منهم بإسناد
مسلسلة منهم أسانيد أخذهم … إلى خير محمود وأشرف حماد
طريقة رشد قد تلقى الذى لها … من السر أمجاد خلائف أمجاد
أب يتلقى عن أبيه وهكذا … فيالك من آباء كرام وأولاد

وقال السيد العلامة أبو بكر بن شهاب الدين :

يروون عن آبائهم عن جدهم … عن جبرئيل عن العزيز الفاطر

واعلم أن الطريقة العلوية كما قال سيدى الوالد : قد جمعت أسرار ما فى الطرق الاسلامية ، وتميزت بصفاتها السنية ، لأنها مبنية على مسلك الشاذلية ومن نحا نحوهم فى حقائق التجريد والتوحيد وعلى مسلك الغزالى فى المجاهدات ، ولم يدخلها شىء من التحريف ، بل استمر عليها أهلها على تطاول الأعصار يتوارثونها طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا ، وقد طال وتسلسل الكلام حتى أخرجنا عما نحن بصدده فلنرجع إلى ما كنا فيه (وإذا قيل لك : الآن قد عرفت الإيمان وأركانه ، فأخبرنى عن) حقيقة (الإسلام) وهو الانقياد الظاهرى (فقل : الإسلام أن تشهد) أى تقر وتذعن (أن لا إله)أى لا معبود بحق فى الوجود (إلا الله وحده لا شريك له) ولا ندّ له ولا ضدّ له (وأن تشهد) أى تقر وتذعن (أن محمدا عبده ورسوله) الذى أرسله بالهدى ودين الحق إلى كافة الخلق (و) أن (تقيم الصلاة) التى فرضها الله عليك : أى تأتى بها بأركانها

وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، فَهٰذِهِ خَمْسَةُ أُمُورٍ : هِىَ أَرْكَانُ الإِسْلَامِ ، فَمَنْ عَمِلَ بِهَا وَصَدَّقَ بِهَا وَآمَنَ بِالأَرْكَانِ السِّتَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِى هِىَ أَرْكَانُ الإِيمَانِ ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ عِنْدَ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وشروطها ، وتواظب عليها فى أوقاتها (و) أن (تؤتى الزكاة) أى تؤديها على وجهها الشرعى (و) أن (تصوم رمضان) أى بأن تكف فيه عن جميع المفطرات على الوجه الشرعى (و) أن (تحج البيت) أى تقصد بيت الله الحرام للنسك بأفعاله المخصوصة (إن استطعت إليه سبيلا) . قال الله تعالى — ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا والمراد بالاستطاعة : وجود الزاد والراحلة ، ونفقة السفر ذهابا وإيابا ، وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر (فهذه خمسة أمور : هى أركان الإسلام .

واعلم أن الإسلام لغة : هو مطلق الامتثال والانقياد ، وقد نقل فى الشرع إلى الامتثال والانقياد لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم (فمن عمل بها) على الوجه الشرعى (وصدق بها وآمن) إيمانا حقا (بالأركان الستة المتقدمة التى هى أركان الايمان) التى مر بيانها (فهو مؤمن مسلم عند الله وملائكته والناس أجمعين) لأنه جمع بين الانقياد الباطنى بالإيمان ، والانقياد الظاهرى بالإسلام فهو بذلك مؤمن مسلم ظاهرا وباطنا . والمعنى : فهو مؤمن كامل ، لأن من أتى بالايمان والاسلام جميعا فهو مؤمن كامل ، ومن تركهما فهو كافر كامل ، ومن ترك الاسلام وحده فهو مؤمن ناقص ، ومن ترك الايمان وحده فهو منافق .

فإنْ قيلَ لكَ : هَلْ فَرْقٌ بَيْنَ الإسْلَامِ والايمَانِ ؟ فَقُلْ : أَمَّا شَرْعًا فَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ لِأَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهمَا يُحَصِّلَ الآخَرَ ، لِأَنَّ اللهَ تعَالَى ذَكَرَ المُسْلِمَ والمُؤْمِنَ فى مَوْضِعٍ واحِدٍ ، فَقَالَ تعَالَى : « إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ توَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ » . وقَالَ تعَالَى : « فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا وجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَأَمَّا لُغَةً فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ مذْكورٌ فى الْمُطوَّلَاتِ .

(فان قيل لك : هل فرق) أى تغاير (بين الاسلام والايمان) أم لا ؟ (فقل . أما شرعا) أى فى إطلاق الشرع (فليس بينهما فرق ، لأن كل واحد منهما يحصل الآخر) تداخلا وترادفا ، أما التداخل فلما ورد « أنه صلى الله عليه وسلم سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم . الاسلام . فقال السائل : أى الاسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم الايمان » ، وأما الترادف فلما روى « أنه صلى الله عليه وسلم قال : بنى الاسلام على خمس » . وسئل مرة أخرى عن الايمان ؟ فأجاب بالأركان الخمسة المذكورة ، وأيضا (لأن الله تعالى ذكر المسلم والمؤمن فى موضع واحد ، فقال تعالى : إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . وقال تعالى : فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) . قال أهل العلم : ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد (وأما لغة فبينهما فرق مذكور فى المطولات) .

ودليل من فرق بينهما قوله تعالى — قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا

وَأَمَّا عَهْدُ إِسْلَامِكَ الذى كُنْتَ فِيهِ مُسْلِماً فَهُوَ يَوْمُ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ يَوْمَ أَخْرَجَ اللهُ فِيهِ أَرْوَاحَ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ فَأَجَابُوا جَمِيعاً وَقَالُوا: بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا وَإِلٰهُنَا. وقَالَ تَعَالَى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ

ولكن قولوا أسلمنا ـ إذا المراد بالإسلام فى الآية: الانقياد الظاهرى الذى لم يصحبه تصديق باطنى، لأن كفار قريش وعلماء اليهود كان عندهم تصديق باطنى[1] بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ماجاء به حق، ولكنهم كان عندهم استكبار وعدم إستسلام وانقياد، فلا ينفعهم ذلك التصديق مع هذا الإستكبار، وهم بعكس المنافقين، لأنهم كانوا مستسلمين ظاهرا. يصلون، ويصومون ويفعلون أنواع الطاعات. ولكن كان عندهم تكذيب باطنى وعدم تصديق، فالاولون عندهم إيمان بلا إسلام، وهؤلاء عندهم إسلام بلا إيمان، ولا ينفع أحدهما بدون الآخر.

وأعلم أن للإنسان إحياآت وإماتات ستة، يتطور فيها ويتنقل من حال إلى حال، وهنا لم يذكر المصنف إلا ماوقع للأرواح فى الحياة الأولى من الإعتراف بوحدانية الله وللإقرار بربوبيته، وذلك قوله (وأما عهد إسلامك) أى زمانه (الذى كنت فيه مسلما) اى مقراً بوحدانية الله وربوبيته (فهو يوم) قبض الله القبضتين اللتين قبضهما عندما مسح على ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه ذريته لأخذ (العهد والميثاق) عليهم كما بينه المصنف رحمه الله بقوله (يوم أخرج الله فيه أرواح بنى آدم عليه السلام) من ظهره أمثال الذر (ثم سألهم) بعد ما ركب فيهم نوعا من الإدراك والعلم (ألست بربكم؟ فأجابوا جميعا وقالوا بلى أنت ربنا وإلهنا، وقال تعالى) فى بيان ذلك العهد (وإذا أخذ ربك من

---

(١) ذلك حال بعضهم فقط والآية نزلت فى نفر من أعراب بنى أسد بن خزيمة.

بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ (١) . وفى الحديث الصّحيح : أَنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَمْسَحَ ظَهْرَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ ، فَظَهَرَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْوَاحٌ كُلُّهَا مِثْلَ

بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون — وهل كانت تلك الذرية أجساما أم نفوسا بلا أجسام ؟

قال فى الدرة الفاخرة : كانوا أحياء نفوسا من غير أجسام . وقال العلامة ابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية : والحق عند أهل السنة أنها يعنى الذرية كانت مركبة فى أجسام : أى بأن أخرج بعضهم من بعض كما فى التفاسير نسلا بعد نسل كنحو مايتوالدون كالذرية ، ونصب لهم الدلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا عرفوا به كما جعل للجبال عقولا حين خوطبوا بقوله تعالى . — ياجبال أوبى معه والطير — وكما جعل الله تعالى للبعير عقلا حتى سجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك للشجرة حتى سمعت لأمره وانقادت ، وكذا النمل حين قالت — يأيها النمل ادخلوا مساكنكم — (و) ورد (فى الحديث الصحيح : أن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام بأن يمسح ظهر آدم عليه السلام ، فمسح ظهره بيمينه ، فظهر من ظهر آدم عليه السلام أرواح كلها مثل

(١) آية ١٧٢ الأعراف .

الذرِّ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى ، وذلِكَ فِى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، وَقِيلَ : فى الْجَنَّةِ ، وقيلَ فى مَكَّةَ ، ثُمَّ أَعْطَاهُمُ اللهُ تعَالَى العَقْلَ وَالْفَهْمَ ، وَصَوَّرَهُمُ اللهُ تعالَى ، وقَالَ لَهُمْ : اعْلَمُوا أنهُ لا إِلٰهَ غَيْرِى وأَنَا رَبُّكُمْ لَا رَبَّ غَيْرِى ، لا تُشْرِكُوا بِى شيئاً ، فَأَنتَقِمُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِى وَلَمْ يُؤْمِنْ بِى ، وإِنِّى مُرْسِلٌ إِلَيْكُمْ رُسُلاً يُذَكِّرُونكُمْ عَهْدِى وَمِيثَاقِى ، ومُنَزِّلٌ عَلَيْكُمْ كُتُباً ، فَلَا تُكَذِّبُوا رُسُلِى وَصَدِّقُوا بِمَا فى الكُتُبِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَأَقَرُّوا جَمِيعاً

الذرّ بقدرة الله تعالى ، وذلك فى السماء الرابعة ، وقيل فى الجنة ، وقيل فى مكة).
قال : والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان فى شرح قصيدة سيدنا الحداد * أحبتنا بنجد والصفيح * عند قوله :

بنعمان الأراك وأىّ أخذ　　　فقل لى عنه بالقول الفصيح

نعمان الأراك : واد بجنب عرفة ، ذكر المفسرون فى قوله تعالى — وإذ أخذ ربك — الآية : أن موضع أخذ العهد بطن وادى نعمان ، وأن الوقوف على هـــذه المسألة يعسر جداً على غير أهل الكشف (ثم أعطاهم الله تعالى العقل والفهم ، وصورهم الله تعالى وقال لهم : اعلموا أنه لا إلـه غيرى ، وأنا ربكم لا ربّ غيرى ، لا تشركوا بى شيئاً ، فأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن بى ، وإنى مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ، ومنزل عليكم كتبا فلا تكذبوا رسلى ، وصدقوا بما فى الكتب من الوعد والوعيد ، فأقروا جميعاً

بالرُّبُوبِيَّةِ ، وقَالُوا : أنتَ رَبُّنَا وَإِلهُنَا لا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ وَنَحْنُ عَبِيدُكَ ، فلمَّا أَقَرُّوا لَهُ بِالعبُودِيَّةِ والوَحْدَانيَّةِ عَلَى أَنفُسِهِمْ كَتَبَ اللهُ إِقْرَارَهُمْ فِى رَقٍّ ، وأَشْهَدَ المَلاَئِكَةَ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ دَعَا الحَجَرَ الأَسْوَدَ . وقَالَ لَهُ : افْتَحْ فَاكَ والْتَقِمِ الرَّقَّ فَلَقَمَهُ فَهُوَ أَمِينُ اللهِ تعالَى فى الأَرْضِ يَشْهَدُ لِمَنْ وَفَّى بِعَهْدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّ اللهَ تعَالَى أَعَادَ الأَرْوَاحَ كُلَّهَا إِلَى صُلْبِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى يُولَدَ كُلُّ مَنْ أَخَذَ مِيثَاقَهُ ، فأَهْلُ القُبُورِ مَحْبُوسُونَ ،حَتى يَخْرُجَ أَهْلُ المِيثَاقِ كُلُّهُمْ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وأَرْحَامِ النِّسَاءِ ،

بالربوبيـة وقالوا : أنت ربنا وإلهنا ، لارب لنا غيرك ونحن عبيدك ، فلما أقروا له بالعبودية والوحدانية على أنفسهم) إقراراً مناسبـاً لرتبة وجودهم (كتب الله إقرارهم فى رق) بالفتح : هو ما يكتب فيه من جلد وغيره ، ومنه قوله تعالى ـ فى رق منشور ـ (وأشهد الملائكة على ذلك ، ثم دعا الحجر الأسود وقال له افتح فاك والتقم الرق فلقمه ، فهو أمين الله تعالى فى الأرض يشهد لمن وفى بعهده يوم القيامة) وذلك معنى قول المستلم للحجر عند الطواف بالبيت العتيق : اللهم إيماناً بك ، ووفاء بعهدك ، وتصديقاً بكتابك .

(ثم إن الله تعالى أعاد الأرواح كلها إلى صلب آدم عليه السلام فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه ، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء) وإذا خرجوا كلهم سوى

فَالْمُرَادُ بِيَوْمِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ هُوَ هَـٰذَا الْيَوْمُ الْمَذْكُورُ. وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِى الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَإِذَا قِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا سَأَلَ الْأَرْوَاحَ وَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ فَأَجَابُوا جَمِيعاً وَقَالُوا: بَلَى، أَنْتَ رَبُّنَا وَكُلُّهُمْ آمَنُوا ذَلِكَ الْوَقْتَ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُسْلِمِينَ، فَلِمَ صَارَ بَعْضُهُمْ يُولَدُ مُسْلِماً، وَيَمُوتُ مُسْلِماً، وَبَعْضُهُمْ يُولَدُ مُسْلِماً وَيَمُوتُ كَافِراً، وَبَعْضُهُمْ يُولَدُ كَافِرًا، وَيَمُوتُ مُسْلِماً، وَبَعْضُهُمْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا؟ فَأَخْبِرْنِى مَا السَّبَبُ فِى ذَلِكَ؟

العقم من الرجال والنساء، فعند ذلك تقوم الساعة (فالمراد بيوم العهد والميثاق هو هـذا اليوم المذكور، والإيمان به واجب، وإنـكاره كفر، لأنه ثبت فى القرآن والحديث، وإذا قيـل إن الله تعالى لما سأل الأرواح قال: ألست بربكم؟ فأجابوا جميعاً وقالوا: بلى أنت ربنا، وكلهم آمنوا ذلك الوقت، فيجب) لسبق الإقرار منهم بالربوبيـة (أن يكون الناس كلهم مسلمين، فلم صـار بعضهم يولد مسلما، ويموت مسلما، وبعضهم يولد مسلما ويمـوت كافرا، وبعضهم يولد كافرا، ويموت مسلما، وبعضهم يولد كافرا ويموت كافرا، فأخبرنى ما السبب فى ذلك؟) تقول: سببه أن الأرواح لما اجتمعت أسمعها البارى جل وعلا خطابه الذى لا يكيف، وقال ألست بربكم؟ فأما أهل السعادة فاستجابوا لربهم مع الفرح والسرور، وهناك ظهر تفاوتهم فى الاستجابة واختلاف مراتبهم فى المشاهدة.

فَقَدْ قَالَ فى «كِفَايَةِ الإِسْلَامِ»، لَمَّا أَقَرُّوا بِالعُبُودِيَّةِ وَالوَحْدَانِيَّةِ وَآمَنُوا بِاللهِ تَعَالَى أَمَرَهُمُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ بَعْضُهُمْ وَالبَعْضُ الآخَرُ لَمْ يَسْجُدْ ، فَالَّذِينَ سَجَدُوا صَارُوا طَائِفَتَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَفَعَ الَّذِينَ سَجَدُوا رُءُوسَهُمْ ، وَرَأَوْا مَنْ لَمْ يَسْجُدْ ، سَجَدَ بَعْضُهُمْ ثَانِياً شُكْراً لِلهِ . وَنَدِمَ بَعْضُهُمْ عَلَى سُجُودِهِمُ الأَوَّلِ . وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا فَصَارُوا طَائِفَتَيْنِ طَائِفَةً نَدِمُوا عَلَى تَرْكِ السُّجُودِ ، وَطَائِفَةً لَمْ يَنْدَمُوا عَلَى تَرْكِ السُّجُودِ ، فَأَمَّا الَّذِينَ سَجَدُوا أَوَّلاً وَثَانِياً ، فَهُمُ الَّذِينَ يُولَدُونَ مُسْلِمِينَ ،

وأما هل الشقاوة فإنهم لما سمعوا الخطاب تكدروا وأجابوا كارهين ثم نفروا نفرة النحل إذا دخن عليه ، فحصل لهم ذلة ، وانكسفت أنوارهم ، وظهر المؤمن من الكافر ، قاله فى الإبريز . وإن أردت زيادة بيان (فقد قال فى « كفاية الإسلام » : لما أقروا بالعبودية والوحدانية . وآمنوا بالله تعالى أمرهم الحق سبحانه وتعالى بالسجود ، فسجد بعضهم ، والبعض الآخر لم يسجد ، فالذين سجدوا صاروا طائفتين ، وذلك أنهم لما رفع الذين سجدوا رءوسهم ، ورأوا من يسجد سجد بعضهم) سجودا (ثانيا شكرا لله ، وندم بعضهم) أى بعض الذين سجدوا (على سجودهم الأول ، وأما الذين لم يسجدوا فـ) إنهم (صاروا) كذلك (طائفتين : طائفة ندموا على ترك السجود ، وطائفة لم يندموا على ترك السجود) فهذه أربع طوائف (فأما الذين سجدوا أولا وثانيا ، فهم الذين يولدون مسلمين ،

وَيَمُوتُونَ مُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ ، وأَمَّا الَّذِينَ نَدِمُوا عَلَى سُجُودِهِمْ ، فَهُمُ الَّذِينَ يُولَدُونَ مُسْلِمِينَ وَيَمُوتُونَ كَافِرِينَ ، اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنَا مِنْهُمْ ، وأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا ولَكِنْ نَدِمُوا على تَرْكِ السُّجُودِ ، فَهُمُ الَّذِينَ يُولَدُونَ كَافِرِينَ وَيَمُوتُونَ مُسْلِمِينَ ، وأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا ولَمْ يَنْدَمُوا فَهُمُ الَّذِينَ يُولَدُونَ كَافِرِينَ وَيَمُوتُونَ كَافِرِينَ ، فَلِهَذَا السَّبَبِ صَارَ النَّاسُ أَرْبَعَ طَوَائِفَ[1].

ويموتون مسلمين. اللهم اجعلنا منهم ، وأما الذين ندموا على سجودهم فهم الذين يولدون مسلمين ، ويموتون كافرين ، اللهم لا تجعلنا منهم ، وأما الذين لم يسجدوا ولكن ندموا على ترك السجود ، فهم الذين يولدون كافرين. ويموتون مسلمين. وأما الذين لم يسجدوا ولم يندموا ، فهم الذين يولدون كافرين ، ويموتون كافرين. فلهذا السبب صار الناس أربع طوائف) وإنما هم فى الحقيقة طائفتان فقط: أهل السعادة وأهل الشقاوة ، لأن السعيد لا ينقلب شقيا ، والشقى لا ينقلب سعيدا ، فالشقاوة والسعادة مقدرتان فى الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان ، لأن السعادة هى الموت على الإيمان ، باعتبار تعلق علم الله أزلا بذلك ، والشقاوة هى الموت على الكفر بذلك الاعتبار ، ولا علم لنا بالسوابق ، إنما الخاتمة تدل على السابقة ، فمن ختم له بالإيمان دل على أنه فى الأزل كان من السعداء وإن تقدمه كفر ، ومن ختم له بالكفر دل على أنه فى الأزل من الأشقياء ، وإن تقدمه إيمان. قال فى الزبد:

إن الشقى لشقى الأزل   وعكسه السعيد لم يبدل

ويدل على ذلك حديث الصحيحين « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار

---

(١) قال الآلوسى فى تفسيره بعد نقله هذا الكلام : وهو كلام لم يشهد له كتاب ولا سنة فلا يعول عليه اهـ .

جعلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ يُولَدُونَ مسلمِينَ وَيَمُوتُونَ مُسلمين بِبَرَكَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَجَعَلَنَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ قَوْلاً وفِعْلاً آمينَ ، وَالحَمْدُ لِلهِ ربِّ العَالَمِينَ.

« تمت »

حق ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، (جعلنا الله وإياكم من) السعداء (الذين يولدون مسلمين) مؤمنين (ويموتون مسلمين) مؤمنين (ببركة نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين،وجعلنا من التابعين لهم قولا وفعلا آمين ، والحمد لله رب العالمين) . إلى هنا انتهى كلام المصنف ، وهو ظاهر لا يحتاج إلى زيادة بيان

وقد اتفق أهل الحقيقة والشريعة من أهل السنة والجماعة على وقوع هذا العهد والميثاق وأنكره المعتزلة ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

تم تبييض هذه المجالة بعون الله الكريم عشية الخميس ، وست من شهر ذى الحجة الحرام ، عام ألف وثلاثمائة وسبع واربعين ببلدة كتنداه ، من جزيرة الجزيجة مع كثرة الشواغل ، وتلبد الهموم على الفؤاد ، والتنقل للتجارة من بلاد إلى بلاد .

يوما بحُزوى ويوماً بالعقيق وبالعُـ ـذَيب يوما، ويوما بالخُلَيصاء

والله أسأل وهو أكرم الأكرمين أن يتقبلها منى ،وينفعنى بها ، ويرحمنى برحمته ، ويجعلنى من عباده الصالحين ، وأن يختم لى بالحسنى ، ويبلغنى بفضله المقام الأسنى . وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فهرس

صحيفة

صحيفة

(تمت)